العرب
الجمعة 2021/08/27
السنة 44 العدد 12161

الجزائر.. تصدير الأزمات وافتعال الحرائق السياسية

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

إذا كان بإمكان الأفراد أن يختاروا أو يغيروا جيرانهم، فإن من المستحيل على الدول والشعوب فعل ذلك. وتبقى علاقات حسن الجوار هي القدر المحتوم الذي من شأنه أن يحلّ جميع الأزمات.

هذا هو المبدأ الذي آمنت به دولة المغرب طيلة عقود التوتر التي طبعت علاقتها مع الجزائر، الجارة الشرقية التي ما تنفك الطبقة الحاكمة فيها من النفخ في رماد الخلافات، مهما كانت صغيرة، بدل إخمادها أو حتى فسح المجال للمجتمع الدولي كي يقترح الحلول المناسبة.

ما سبب هذا التعنت الجزائري الذي بلغ أعلى مراحل التصعيد الدبلوماسي والسياسي بإقدام الجزائر على قطع علاقاتها مع المغرب في خطوة متوقعة بالنظر إلى تصريحات مسؤوليها، لكنها غير مبررة إذا علمنا أن المغرب، ومنذ أيام قليلة، دعا على لسان العاهل المغربي الملك محمد السادس في الخطاب السنوي بمناسبة ذكرى جلوسه على العرش، الرئيس الجزائري عبدالمجيد تبون إلى "تغليب منطق الحكمة" والعمل في أقرب وقت على تطوير العلاقات المتوترة بين البلدين، مجددا الدعوة إلى فتح الحدود المغلقة.

ما الذي استجد في هذه العلاقة المتوترة أصلا حتى يتحدث جنرالات الجزائر بمثل هذه اللغة العدائية ضد المغرب الذي يقابلها بتغليب العقل ومنطق الحوار والتفاهم؟

الجانب الجزائري يتذرّع في كل مرة بأسباب تبدو واهية، غير مقنعة وبعيدة عن المنطق، للتدخل في قضايا سيادية تخص السياسة الخارجية للمغرب، وربطها بالأمن الإقليمي في محاولة لاستدعاء قضية الشرق الأوسط إلى المنطقة من خلال انتقاد العلاقة الدبلوماسية بين المغرب وإسرائيل تارة، واتهام جارته بالتدخل في شؤونه الداخلية وتحريض الحركات الانفصالية تارة أخرى.

حتى الحرائق التي أشعلت غابات أوروبا وأستراليا والولايات المتحدة، بفعل ارتفاع درجات الحرارة، تصبح لدى جنرالات الجزائر بفعل فاعل معروف وجاهز لتلبس التهمة، هو المغرب. فما قصة هذه السياسة الدونكيشوتية في الجزائر؟

يمضي المسؤولون الجزائريون في حشد ورصّ أسباب في معظمها هلامية وعائمة وذلك لتبرير ما أقدمت عليه السلطات الجزائرية من تصعيد وصل إلى حد سحب سفيرها من الرباط، كاتهام وزير الخارجية الجزائري رمطان العمامرة، المغرب بـ"شن حملة إعلامية دنيئة" ضد بلاده، و"التعاون مع منظمات إرهابية"، و"التجسس على مواطنين ومسؤولين جزائريين"، مرفقا هذا الخطاب بعبارات شعبوية موجهة إلى الداخل الجزائري من قبيل أن بلاده تعرضت إلى "حرب إعلامية دنيئة وواسعة من قبل أجهزة الأمن والدعاية المغربية، التي لا تتردد في نسج سيناريوهات خيالية وخلق الإشاعات ونشر معلومات مغرضة".

واتهم وزير الخارجية الجزائري المغرب بـ"بالتعاون" مع "ماك" و"رشاد"، المصنفتين كمنظمتين إرهابيتين من طرف الحكومة الجزائرية، بالضلوع في الجرائم المرتبطة بالحرائق المهولة التي شهدها عدد من المحافظات مؤخرا، إلى جانب عملية التعذيب والقتل الهمجي التي راح ضحيتها المواطن جمال بن إسماعيل، الشاب الذي أسهم في إطفاء الحرائق بمنطقة تيزي وزو الأمازيغية ثم اتهم بالتورط في تلك الحرائق وفق رواية روجتها أطراف من داخل الحكومة والمخابرات الجزائرية لزرع الفتنة داخل المجتمع الجزائري كما يقول ناشطون محليون.

ويشير عارفون بالشأن الجزائري إلى أن الطبقة العسكرية التي تمثل الحاكم الفعلي في الجزائر، إذا ما اختلفت في ما بينها تصطنع الأزمات لتصدرها إلى الخارج وتلهي الرأي العام عن معاناته الحقيقية بتحميل جهات خارجية ما يجري في البلاد، والعزف على أوتار الوطنيات، واستنهاض المشاعر القومية والدينية وغيرها.

ومن بين هؤلاء الناشطين، الصحافي الاستقصائي الجزائري أمير ديزاد، الذي كشف النقاب عن عدة ملفات ومستندات تخص سياسيين وجنرالات في الجزائر. وقدم معطيات تخالف الرواية الرسمية للسلطات الجزائرية في مقطع فيديو على قناته على موقع يوتيوب، أشار فيه إلى أن السلطات الجزائرية تحاول فرض رواياتها بشأن ما حدث مؤخرا في البلاد. وقال "كفي عن الكذب على الشعب.. ما حدث هو صراع الأجهزة والمخابرات وكلاهما يتحمل المسؤولية.. المجرم الحقيقي، العقل المدبر للجريمة هم الجنرالات وهم لازالوا طلقاء..".

وأدان العضو المؤسس في حركة "رشاد" والمعارض الدبلوماسي السابق محمد العربي زيتوت في بث مباشر نشره على صفحته الرسمية على "فيسبوك" جريمة مقتل الشاب جمال، وكذلك الحرائق التي طالت البلاد وأشار إلى من وصفهم بـ"العصابات" بالوقوف خلفها وقال "هي عملية منظمة يقصد بها ضرب مجموعة من العصافير.. من جهة الإلهاء عن قضية المياه والفقر في الصحراء، ومن جهة أخرى إشعال نار التفرقة".

الجانب المغربي تعامل مع هذا التصعيد الجزائري بالمزيد من الحكمة والرصانة كما ورد في بيان الخارجية الذي أكد على أن المملكة المغربية "ستظل شريكا موثوقا ومخلصا للشعب الجزائري وستواصل العمل، بكل حكمة ومسؤولية، من أجل تطوير علاقات مغاربية سليمة وبناءة".

هذا الموقف الرسمي تناغم مع مشاعر المواطنين في كلا البلدين الشقيقين، الذين يدركون أن لا تداعيات اجتماعية سوف تنشأ من جراء الخطوة الجزائرية إلا ما قد ينجر من متاعب تطال الاقتصاد المغربي في حالة التصعيد من الطرف الجزائري كإغلاق المجال الجوي للرحلات القادمة من وإلى المغرب، بالإضافة إلى احتمال إيقاف أنبوب الغاز المغاربي – الأوروبي الذي ينطلق من الجزائر إلى إسبانيا.

وما عدا ذلك فإن التبادل التجاري بين البلدين لا يتجاوز الواحد في المئة، إلا أن كل التوتر ينصب في الانتشار العسكري الجزائري على الحدود المغربية، وتحريض جبهة البوليساريو على استفزاز القوات المغربية في ظل اتهام الجزائر الرباط بخرق اتفاقية وقف إطلاق النار.

ما تسوقه الجزائر من مبررات لا يقنع أحدا.. بدليل كثرة هذه المبررات وتعددها.. إنه مآزق الجنرالات حين يمارسون السياسة ويغطون على فسادهم.

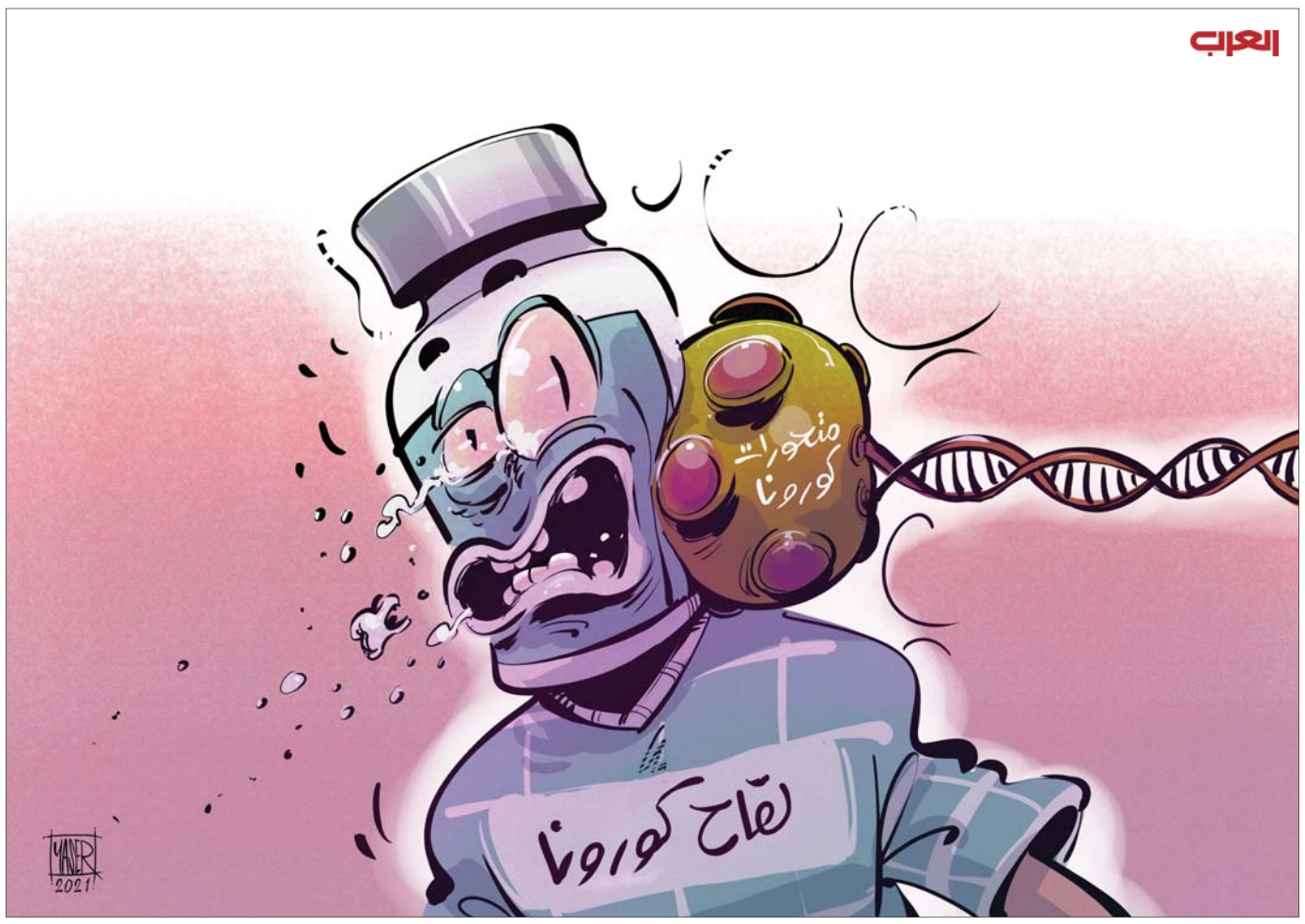

الحق على الأفغان... وعلى الولايات المتحدة أيضا!

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

من يستمع إلى خطاب الرئيس جو بايدن الذي يبرر فيه قرار الانسحاب العسكري الأميركي من أفغانستان يصاب بنوع من الذهول. لا لشيء، سوى لأنّ التركيز الوحيد في الخطاب كان على فشل الشعب الأفغاني والجيش الأفغاني في الوقوف في وجه "طالبان" بكلّ ما تمثّله من تخلّف على كلّ صعيد.

لم يتطرّق بايدن في أيّ لحظة إلى جانب آخر في غاية الأهمّية، أي إلى مسؤولية الإدارات الأميركية المتلاحقة طوال عشرين عاما في معرفة ما هي أفغانستان وما هي إمكانات النجاح فيها باستثناء قلب نظام "طالبان" الذي حمى أسامة بن لادن وتنظيم "القاعدة" المسؤول عن "غزوتي نيويورك وواشنطن"، أي عن سقوط المئات من الضحايا الأميركيين.

لعلّ أسوأ ما في الخطاب تعداد أنواع الأسلحة التي زوّد بها الأميركيون الجيش الأفغاني وعجزه عن استخدامها عندما صارت هناك ضرورة لها. هل كانت بحاجة إلى عشرين عاما كي تكتشف الولايات المتحدة بكلّ ما تمتلكه من أجهزة أنّ النظام الأفغاني فاشل أصلا وأنّ أشرف غني ليس أفضل من حامد كرزاي؟

لم ينبس بايدن، المفترض أن تكون له خبرة طويلة في السياسة الخارجيّة، ببنت شفة عندما تعلّق الأمر بالأخطاء الأميركية. في مقدّم هذه الأخطاء الذهاب إلى حرب أخرى في العراق في العام 2003 والعجز عن الذهاب إلى الجذور في أفغانستان. يعني الذهاب إلى الجذور العودة إلى طبيعة نشأة "طالبان"، فضلا عن دور جهاز الاستخبارات العسكرية الباكستاني في قيام تلك الحركة التي استولت على كابول بين 1996 و2001، عندما انقلب السحر على الساحر وتبيّن أن الإرهابي أسامة بن لادن يتحكّم بـ"طالبان" أكثر مما هي تتحكّم به. لم يشر بايدن للأسف الشديد إلى دور الولايات المتّحدة في تشجيع "طالبان" على الوصول إلى كابول والاستيلاء على السلطة.

استنادا إلى تقارير محايدة، ظهرت حركة "طالبان" في العام 1994 في أفغانستان بعدما شهدت البلاد حربا مع القوات السوفييتية بين عامي 1979 و1989 ونزاعا داخليا في صفوف من كانوا يسمّون أنفسهم "المجاهدين" إثر انهيار النظام الموالي للسوفييت في كابول في العام 1992.

نشأت الحركة في مدارس قرآنية في باكستان المجاورة حيث وجد الإسلاميون في "طالبان" ملاذا آمنا إبان النزاع مع القوات السوفييتية، وكانوا حينها بقيادة الملا محمد عمر الذي توفّي في العام 2003 ليخلفه الملا أختر منصور الذي قتل في باكستان في العام 2016. يقود "طالبان" حاليا الملا هيبة الله أخوند زاده، في حين يرأس الملا عبدالغني برادر، وهو أحد مؤسسي الحركة، جناحها السياسي.

عرفت "طالبان" التي تسعى لاستعادة سيطرتها على أفغانستان صعودا سريعا بدعم من باكستان وموافقة ضمنية من الولايات المتحدة. ففي تشرين الأول – أكتوبر 1994، سيطرت طالبان من دون عناء على قندهار عاصمة المملكة البشتونية السابقة في جنوب البلاد. بفضل ترسانتها العسكرية وقدراتها المالية التي جمعتها من الحروب والتي تتيح لها ضم قادة محليين، راكمت الحركة الانتصارات الميدانية وصولا إلى كابول التي سيطرت عليها في السابع والعشرين من أيلول – سبتمبر 1996. طردت "طالبان" الرئيس برهان الدين رباني وأعدمت علنا الرئيس الشيوعي السابق محمد نجيب الله.

وانكفأ القيادي البارز خلال حقبة مقاومة القوات السوفييتية أحمد شاه مسعود إلى وادي بانشير في شمال كابول حيث عمل على تنظيم صفوف المقاومة المسلّحة.

بعدما تولوا السلطة، فرض قادة "طالبان" رؤيتهم المتشددة للشريعة الإسلامية، وحظروا الألعاب والموسيقى والصور والتلفزيون... ومنعوا النساء من العمل وأغلقوا مدارس تعليم البنات. عمدوا أيضا إلى قطع أيدي السارقين وإعدام القتلة والمثليين علنا ورجم الزانيات بالحجارة حتى الموت، في ممارسات لقيت تنديدا واسعا لم يترك أيّ تأثير على أرض الواقع.

في آذار – مارس 2001، فجّرت "طالبان" تمثالين بوذيين عملاقين في باميان وسط أفغانستان. أدّى ذلك إلى موجة استنكار عالمية من دون فائدة تذكر. في مرحلة معيّنة، نُقل مقر السلطة إلى قندهار حيث أقام الملا عمر في منزل بناه أسامة بن لادن.

> بايدن لم ينبس ببنت شفة عندما تعلق الأمر بالأخطاء الأميركية وفي مقدم هذه الأخطاء الذهاب إلى حرب أخرى في العراق في العام 2003 والعجز عن الذهاب إلى الجذور في أفغانستان

إضافة إلى ذلك، استقطبت الأراضي الخاضعة لسيطرة "طالبان" الإسلاميين المتطرفين من مختلف أنحاء العالم، وتحوّلت هذه الأراضي إلى معسكرات تدريب خصوصا لتنظيم "القاعدة". ما الذي يمنع الآن تكرار المشهد نفسه في غياب جواب عن السؤال الأساسي، وهو: هل تغيّرت "طالبان"... أو هل يمكن لـ"طالبان" أن تتغيّر؟

عرض بايدن وجها واحدا من المشكلة التي واجهت الولايات المتحدة في أفغانستان وذلك بغية تبرير الهزيمة التي لحقت ببلده. لم يشر لا من قريب أو بعيد إلى أن "طالبان" كانت مدعومة أميركيا في البداية وأنّ الهمّ الأميركي كان محصورا وقتذاك في أن تكون أفغانستان ممرا لأنابيب الغاز من جمهوريات إسلاميّة قريبة منها. لم يكن الهم الأميركي محصورا في يوم من الأيّام في قيام أفغانستان جديدة وفق نظام جديد يحترم حقوق الإنسان والمرأة وإن في حدودها الدنيا...

أسوأ ما يحصل حاليا أنّ الولايات المتحدة تترك أفغانستان وتترك معها صورة قوّة عظمى محتارة بأمرها. قوة عظمى لا تعرف ماذا تريد. فوق ذلك كلّه، لا تدرك القوة العظمى هذه أنّ "طالبان" مسؤولية أميركية أيضا وأنّ عليها أن تتعلّم من تجارب الماضي القريب، خصوصا أن الانسحاب من أفغانستان سيوفّر فرصة لكثيرين، في مقدّمهم إيران، كي يجرّبوا التحرّش بالولايات المتحدة وجسّ نبضها. يظلّ إلقاء المسؤولية على الآخرين بمثابة لجوء إلى الحلّ السهل. نعم الحقّ على الأفغان. لكنّ الحق على الولايات المتحدة أيضا التي أظهرت كم هي ضعيفة في مواجهة "طالبان" والتي يمكن أن تظهر ضعفها أمام "الجمهوريّة الإسلاميّة" أيضا. هل الولايات المتحدة ضعيفة إلى درجة الاستسلام الكامل أمام "طالبان"؟